

الأترك والحدثة الأوروبية

(دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأترك تجاه أوروبا)

Turks and European Modernity: A Historical Study of Turkish Intellectual Attitudes towards Europe

أ.د. حامد محمد طه السويدي

رئيس قسم الدراسات التاريخية والثقافية

مركز الدراسات الاقليمية/ جامعة الموصل

الملخص

تناول البحث موضوع الأترك والحدثة الأوروبية ويعد على قدر كبير من الأهمية كونه يعالج حركة الأترك التاريخية والسياسية والفكرية، وقد قسم الموضوع الى أربعة محاور؛ تناول الأول الأترك قبل قيام الدولة العثمانية تاريخهم وثقافتهم ومعتقداتهم، فيما تحدث المحور الثاني عن الأترك العثمانيين وتأثرهم بالتقدم الأوروبي والاصلاحات التي قام بها السلاطين تقليدا للأوروبيين. اما المحور الثالث فقد سلط الضوء على التجربة التركية (مرحلة مصطفى كمال أتاتورك) وهي الحقبة القومية للأترك وانضمامهم الى المنظومات الأوروبية، اما المحور الرابع فقد تناول حقبة حزب العدالة والتنمية وجهوده للانضمام الى الاتحاد الأوروبي، وقد خرج البحث بمجموعة من الاستنتاجات المهمة.

Abstract

The research dealt with the issue of Turks and European modernity which is of great importance as it deals with the historical, political and intellectual movement of Turks. The subject was divided into four sections; the first dealt with the Turks before the establishment of the Ottoman state ; their history, culture and beliefs. The second one talked about the Ottoman Turks and the European progress they influenced by and the reforms carried out by the sultans as a simulation for the Europeans. The third section shed light on the Turkish experience (Mustafa Kemal Atatürk stage), the national era of the Turks and their accession to the European systems. The fourth one involved the AKP era and its efforts to join the European Union. Finally, the research came up with a set of important conclusions.

يعد موضوع ((الأتراك والحداثة الأوروبية)) وهو دراسة تاريخية تناقش وتحلل التوجهات الفكرية والثقافية والسياسية للأتراك تجاه أوروبا على قدر كبير من الأهمية لأنه يعالج اسباب سلوك الأتراك ورغبتهم الجارحة في تقليد الحضارة الأوروبية والسعي المتواصل عبر فتراتهم التاريخية وحرصهم ان يكونوا جزء من أوروبا ولاحقا جزء من الاتحاد الأوروبي.

وانطلاقا من هذه الفكرة قسمت الدراسة إلى أربعة محاور مهمة تمثل مراحل تاريخية لحركة الأتراك السياسية والثقافية والاقتصادية.

عرض المحور الأول وهو بعنوان (تاريخ الأتراك قبل قيام الدولة العثمانية) وهو تمهيد تاريخي لأصل الأتراك وجغرافية الأتراك والمعتقدات الدينية المتغيرة عبر التاريخ وكذلك أيضا الإشارة إلى الأدب التركي والشعر واللغة التركية وأهم الآثار المكتشفة التي تبين قدم التاريخ التركي وكذلك أهم الدول والامبراطوريات التي أقامها الأتراك، وهو محور مهم جدا لأنه يجيب على فهم سلوك الأتراك السياسي في المراحل اللاحقة.

اما المحور الثاني وهو بعنوان (الأتراك العثمانيون والحداثة الأوروبية) وهو يسلط الضوء على المرحلة العثمانية 1299-1922 ويؤشر هذا المحور على البدايات الأولى للعثمانيين للأخذ واكتشاف التقدم الأوروبي وجهود السلاطين العثمانيين في تقليد مظاهر الحياة الأوروبية والدعوة الى الإصلاح في المؤسسات العثمانية من خلال استخدام الخبراء الاجانب وقد مثل هذه المرحلة بعض السلاطين العثمانيين ونخص بالذكر منهم السلطان احمد الثالث والسلطان محمود الثاني والسلطان عبد المجيد الأول وهي الفترة المهمة التي استطاع هؤلاء السلاطين في استيراد وقوانين الاوربيين وتطبيقها في الدولة العثمانية؛ أما المحور الثالث (الأتراك القوميون والحداثة الأوروبية) فقد سلط الضوء على تجربة مصطفى كمال اتاتورك وخلفاؤه في تغريب وتحديث تركيا وكان اتاتورك اكثر جرأة من غيره في الاخذ بكل مقومات التغريد والحداثة وطمس هوية تركيا الشرقية والاسلامية اما المحور الرابع فقد ركز على مرحلة (اتراك الاسلام السياسي) فترة حزب العدالة والتنمية وهو ذو جذور إسلامية لكنه يرغب بشدة في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي من خلال جملة من الاصلاحات الدستورية وقد حللت الدراسة أسباب هذا التوجه وقد استخدمت الدراسة العديد من المصادر المهمة والجديدة في هذا الموضوع والقيام بدراستها وتحليلها من أجل الوصول إلى الاسباب الحقيقية التي تجعل من الأتراك راغبين وعاملين من أن يكونوا جزء من الاتحاد الأوروبي، وقد خلصت الدراسة إلى العديد من الاستنتاجات المهمة والتي ستذكر لاحقا في خاتمة الدراسة.

- المحور الاول: تاريخ الأتراك قبل قيام الدولة العثمانية (تمهيد تاريخي)

قبل القيام بدراسة موضوع (الأتراك والحداثة الأوروبية) لابد من الإشارة إلى تاريخ الأتراك وحركتهم التاريخية متمثلة بالجغرافية والسياسة والدين والثقافة والأدب والشعر والمسرح إلخ.

يعد الموقع الجغرافي من أهم العوامل التي تساعد على فهم التاريخ قياسا بالعوامل الأخرى كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وهو أقل عرضة للتغير بسبب الدور الذي يؤديه في تحديد مصير أي دولة أولا

أ.د. حامد محمد طه السويدي

وأهميته في فهم تطورات التاريخ السياسي لأي دولة؛ ثانياً لأن هيئة الأرض وتضاريسها كالجبال والسهول والمحيطات والبحار والانهار تبقى ثابتة في مكانها دون أن تتغير⁽¹⁾

ومن وجهة نظر قديمة ينقسم البشر اعتماداً على ما جاء في الكتاب المقدس إلى أقوام مختلفين تناسلوا من جد واحد هو النبي نوح عليه السلام، فالناس ينتسبون إلى أحد أولاد نوح الثلاثة وهم سام وينسب إليه الساميون (وهو ساكنوا الجزيرة العربية ومن نوح عنها كالأكديين والبابليين والاشوريين والكنعانيين وبني إسرائيل ثم العرب العاربة والمستعربة والبنائىة مثل عاد وثمود)، وحام وينسب اليه الحاميون (الزنج والاقباط والافارقة) ويافث وينسب إليه الأتراك والصينيون والآريين كالفرس والاوربيون عموماً (اليونان، والسلاف، والجرمان، والأرمن)، وينتمي الأتراك إلى مجموعة اللغات الألتائية نسبة إلى جبال التاي في قلب تركستان، وهم من أصول واحدة (التركية والمغولية واليابانية والكورية والمنشورية).

والشعوب التركية *Altaic peoples* وهي مجموعة عرقية واحدة كانت تستقر قديماً في منغوليا وسيبيريا وخاصة حول جبال التاي *Altai*⁽²⁾ وهم قبائل رعوية تجوب منطقة جبال التاي إلى الشرق من سهول أوراسيا وإلى الجنوب من نهر ينبي، وبحيرة بيكال في الأراضي التي تعد حالياً جزءاً من سهول منغوليا،⁽³⁾ والأتراك عرق أبيض عريض الجمجمة *Braehycephalic* ويطلق عليهم في الكتب الأدبية لفظ (طوراني) وبالفرنسية *Touvanien*⁽⁴⁾ وقد قسم حكماء الأمم وعلماء البلدان الأرض المسكونة إلى سبعة أقاليم غير متساوية في الطول والعرض، وهي قسمة تقديرية توزع المدن عليها اجتهدوا من دون خطط عمرانية كما تأخذ بنظر الاعتبار مناخ الأرض وتضاريسها ومساحتها ولأن الأتراك كثيرين العدد والمدد وأرضهم واسعة وشاسعة، وممالكها متفرقة ومتعددة فقد وضعهم بعض البلدانين في خمسة من أقاليم الأرض السبعة ومنهم الشريف الإدريسي (ت 599هـ) فجعل بلاد الختل ومدينة بلخ (وهي دار مملكة الأتراك) فضلاً عن بخارى وسمرقند وبلاد اشروسنة، ثم بلاد فرغانة والتبت وما يليها من بلاد الشاس وقاسب وكلها بلاد تركية بقلاع معمورة ومدن مشهورة.⁽⁵⁾

ولعل مصطلح (الترك) دخل الاستعمال لأول مرة مع نقوش ارخون التي أشارت إليها صراحة وقال عنها المؤرخ الروسي بارتولد (اكتشف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي أقدم آثار تركية أنشأها الترك أنفسهم عن تاريخهم فأصحاب هذه الآثار قد سمو أنفسهم أول مرة في التاريخ بـ(الترك)).⁽⁶⁾

إن الترك هم أكبر وأشهر الأمم الآسيوية، وأنهم من الشعوب الطورانية وهم متشابهون في الخلقة مع شعوب الصين والتبت واليابان، ولا غرابة مما نجد من سحناء أترك الأستانة والاناصول فإن هؤلاء قد توالدوا وتناسلوا غربي آسيا من قرون عديدة واختلطوا بالأمم الأخرى كالفوقازيين، والمكدونين، والأنائوط، والروم، والبلغار، والاكرد، والصرب، وبقايا أهل الاناصول القدماء، وتولدت منهم أمة لا تشبه المغول ولا الصينيين ولكن الترك الاناصوليين الذين لم يختلطوا بهذه الأمم الغربية يشبهون أترك بخارى وخيوه وكاشغر وهم ذو ملامح ظاهرة الشبه مع أهل الصين والتبت والمغول⁽⁷⁾.

وقد أسس الأتراك عبر التاريخ دولاً وإمبراطوريات نذكر منها 1- إمبراطورية الهون (هونغ تو) 2- إمبراطورية الهون البيض (الهيطة) 3- دولة الأتراك (تويا واي) 4- إمبراطورية (جوان جوان 400-552)،

الأترك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأتراك تجاه أوروبا)

5-امبراطورية الغزر توكيو (كول ترك) 6- امبراطورية الافار 565-796، 7-امبراطورية الخزر 8-دولة الترك (البنجال) 9-امبراطورية الايغور وعرفت في التاريخ العربي الاسلامي بدولة التغرغز = الطوغوز 10-الدولة العثمانية 1299-1922⁽⁸⁾.

أما فيما يخص الجوانب الحضارية للأتراك فعلى مستوى الأدب التركي هناك بعض الإشارات الموجودة على قبر (الرجل ذو اللباس الذهبي) في القرن الخامس قبل الميلاد هي الشكل البدائي لا بجدية (كوك ترك) ويرجع الهيكل العظمي الذي سماه علماء الآثار (الرجل ذو اللباس الذهبي) إلى تمثال أمير تركي أرجه العلماء الروس من قبر يقع على بعد (50 كم) عن قبر (المانا) الموجود في كازاخستان وهو هيكل عظمي مكسو بزينة ذهبية لرجل شاب والحروف التي يدعى أنها تركية منقوشة على الصحن الفضي الموجود بجانبه.⁽⁹⁾

يطلق على أول كتابات تركية جدية اسم (كتابات ينسي) *Yenisey Kirabelevi* وقد عثر عليها بكثرة في شمال جبال التاي، وكلها حجرية تعود إلى القرن الخامس الميلادي، وقد كتبت بلهجة وأبجدية (كوك ترك) وهذا دليل واضح أن للأتراك القدامى ثقافة راقية وبرز أمامنا النتاج الأول في الأدب التركي ولا يزال من ابداع الآثار الكتابية المحررة في اللغة التركية، وقد كتبت على (3) قطع حجرية يبلغ ارتفاع كل منها 3,75 سم وتسمى كتابات (كوك ترك) او كتابات (اورهن).⁽¹⁰⁾

ولم يتمكن أحد من قراءة هذه الكتابات، وفي النهاية تمكن رئيس أكاديمية العلوم الدانماركية والعالم في اللغة التركية *Wilhelm Ludvig Pefer Thomsen* (1842-1927) من حل أبجدية (كوك ترك) عام 1893 فقرئت وترجمت ونشرت وثبت العالم تومسن أولاً كلمات (تتكرى) أي الآله و(ترك) و (كل تكين) التي تتكرر بكثرة ثم تمكن من حل جميع الأبجدية التركية وتعد قراءة نصب (كوك ترك) مرحلة جديدة من تاريخ علم الآداب التركية، أما القطع الأدبية التركية التي عثر عليها في تركستان الشرقية (تركستان الصين) والتي تعود للعهد الايغوري، فتبلغ المكان ولم تعد تقتصر على الكتابات الحجرية فهي مكتوبة على الورق حيث أن أترك الايغور هم مكتشفو ومطورو الورق والطباعة، وقد انتشر الورق الذي صنعه الايغوريون في العالم الاسلامي عن طريق سمرقند وحل مكان الجلود الحيوانية، وقد ترك الايغوريون الذين هم أساتذة في فن النحت والتماثيل والرسم أبجدية كول ترك واستعملوا الأبجدية التركية التي تسمى الأبجدية الايغورية وهي الابجدية الثانية التي استعملها الأتراك قبل استعمالها الأبجدية العربية⁽¹¹⁾.

وقد مر الأدب التركي شأنه شأن آداب الشعوب الأخرى بعدة مراحل ففي المرحلة الأولى تمثل الأدب التركي بالأدب الشفاهي الشعبي بالدرجة الأولى وكان الشعر الميزة الأولى لذلك الأدب وكان يركز على تمجيد البطولات وسرد الملاحم والاساطير والمراثي والمديح وبقي هذا الأدب محافظاً على مكانته وحيويته حتى بعد اكتشاف الكتابة وأهم الأبجديات التي دونت بها اللغات التركية هي أبديات (كوك ترك) *Guk Turk* فالأبجدية الايغورية *Ayyuria* وقد عثر على كتابات ابجدية (كوك ترك) في نقوش او رخون كما ذكرنا سابقاً وتصور هذه الكتابات حياة قوم من البدو مع الإشارة إلى البناء السياسي والاجتماعي لهذا المجتمع فضلاً عن سرد حروبهم وانتصاراتهم ضد الصينيين كما وجدت آثار مدونة بالأبجدية الايغورية.⁽¹²⁾

أ.د. حامد محمد طه السويدي

أما فيما يخص المعتقدات الدينية فقد كان الأتراك في بداية أمرهم يعبدون الطبيعة، متمثلة في خمس عناصر هي الأرض والغابة والمعدن والنار والماء وكانوا يقدسون إضافة إلى ذلك أجدادهم، وكان أهم المعادن وأكثرها قداسة عندهم هو الحديد، الذين كانوا يقومون له عيدا كل عام، وأما تقديس الأجداد فإن له علاقة بالطبوغرافية التركية القديمة وذلك أن الأتراك يعتقدون أنهم منحدرين من رجل وذئبة وأحيانا من ذئب وامرأة ومن هنا كان تقديس الآباء عندهم مرتبطا بتقديس المغارات وهي مأوى الذئب.⁽¹³⁾

وكان أغلب الأتراك قبل الإسلام يدينون بالديانات الشرقية الوضعية، وأقلهم يدين بالديانات السماوية اليهودية، والمسيحية، وما كان من الديانات الوضعية (الشامانية- البوذية المانوية) وموطن الشامانية آسيا الوسطى وسيبيريا، وقال العالم جفري بارتول ((أنهم كانوا يلعبون دور طاردي الأرواح الشريرة ودور الأنبياء والعرفان وقارئ الكف ومفسري الأحلام كما كانوا الأطباء الذين يعالجون المرض، وقد بحث المؤرخ بارتول في عقائد الشامانية قائلا (تظهر عقائد الشامانية في مراسيم الجنائز والدفن عند الأتراك وروى عن المصادر الصينية قولها أن الأتراك يقيمون إلى جوار الجند تماثيل لقتلى هؤلاء ثم يروى عن المصادر البيزنطية (أن الرؤساء والعسكريين الذين يقعون في أسر الأتراك كانوا يذبحون عادة إلى جوار قبر الخان لأن القتلى أصبحوا في العالم الآخر، كما ذكر المؤرخ كار بروكلمان أن الشامانية هيمنت على حياة الأتراك الدينية وانتشرت فيهم قبل أن يفاجئهم الإسلام بقواه وتعاليمه السمحاء).⁽¹⁴⁾

أما البوذية فهي ديانة هندية في الأصل، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد ومؤسسها (سدهاتا)، وأطلق عليه أتباعه (بوذا) أي العارف المستنير، ويعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الله وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم، ويذكر بارتول عن نتائج بعثات الآثار في تركستان أن وجود نصوص بوذية في (لغة الصغر)، وأن هذه النصوص قد ترجمت إلى لغة الأتراك وأنها أثرت عليهم كما أثر عليهم مروجو الديانة البوذية وتجار الهنود الوافدين عليهم من بلاد الهند.⁽¹⁵⁾

أما فيما يتعلق بالمانوية فالمانوية ثنائية بمعنى أنهم يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح، وهم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سامور بن اردشير وقتله بهرام هرمز بن سامور، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام وقال ابن النديم (378هـ) أن مذهب المانوية مركب من المجوسية والنصرانية وأهل هذا المذهب يكتبون كتب الدين فيما وراء النهر وسمروند بقلم المانوية وتسمى عندهم (قلم الدين) وانتشر هذا المذهب في تركستان أيام الغز المعروفين بـ(كوك ترك) فقد كشفت وثائق مانوية مكتوبة باللغة الفارسية والصغرية والتركية والصينية وما كتبت بالتركية فهو واضح وبسيط ويؤكد هذه النصوص بأن صلاتهم قريبة الشبه بالبوذية⁽¹⁶⁾.

أما فيما يخص إسلام الأتراك فإن أول اتصالهم بالإسلام كان في مستهل الفتوحات العربية الإسلامية في بلاد ما وراء النهر في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) 13-23 هـ، وكان اتصالا ولد دهشة للطرفين فقد وجد الأتراك في العرب المسلمين قوما غايزين ولكن من دون سبي أو نهب أو سفك دم طمعا في مال أو كسر لعين كما يفعل الغزاة في العادة، وكذلك وجد العرب في الأتراك قوما محاربين مقاومين، وأكد الرحالة ابن

الأترك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأترك تجاه أوروبا)

فضلان (كان حيا سنة 349هـ) على بقاء بدو الأترك على ما كانوا عليه أثناء عبوره إلى قبيلة الغز التركية في مستهل القرن الرابع الهجري وقال (وهم أي الأترك لا يدينون لله بدين فلا يرجعون إلى عقل ولا يعبدون شيئا بل يسمون كبرائهم أربابا، وكذلك أكد ابن فضلان الحادية الأترك البدو الذين مر عليهم في أثناء رحلته إلى الترك والخزر والروس والصقالبة⁽¹⁷⁾).

فالأمة التركية اعتنقت الدين الاسلامي في مرحلة مبكرة حين وصل العرب المسلمين إلى تركستان وذلك لما لمسوا من الاسلام والمسلمين من سماحة وبساطة تتناسب والفترة الإنسانية بالإضافة إلى واقعية ومرونة وفاعلية تتناسب وطبيعة الأترك المنفعلة والفاعلة؛

أما فيما يخص التوجه الثقافي للأترك فقد حرر الإسلام التفكير التركي وساعده على الانطلاق في مختلف مجالات العلوم والمعرفة ليحققوا تقدما ملحوظا وخاصة في المجال العسكري والحق أن الأترك استفادوا من الاسلام فقد وحد بينهم وخفف من حدة طباعهم وجعل لغزواتهم وحروبهم معاني أسمى من السطو والعدوان حتى أن السلطان العثماني محمد الفاتح قال (ليس هدفنا الاستيلاء على القسطنطينية والقلاع والحصون وإنما هدفنا هو نشر رسالة الاسلام).⁽¹⁸⁾

هذه نظرة تمهيدية لتاريخ الأترك والتغيرات التي حدثت لهم في هذه المرحلة وسوف نناقش في المحور الثاني الأترك وقيام الدولة العثمانية.

المحور الثاني: الأترك العثمانيون والحداثة الأوروبية (مرحلة السلطنة العثمانية)

يمثل تاريخ الدولة العثمانية حقلا خصبا بسبب اختلاف وجهات النظر لما يمتلكه هذا التاريخ من تنوع وثراء غير فتراته التراكمية التي تجاوز عمرها ستة قرون بين التاريخ الوسيط والحديث⁽¹⁹⁾؛

وقد نشأ الأترك العثمانيون على البداوة والترحال إلى أن اعتنقوا الإسلام فتحملوا له بقوة وحديث عهد بالشيء شديد التمسك به والدفاع عنه فما أن اعلنوا دولتهم في الاناضول عام 1299 حيث رفعوا راية الجهاد ضد الدولة البيزنطية التي سقطت على أيديهم عام 1453 (فتح القسطنطينية) وتعود قوة هذه الدولة الفتية التي أصبحت في زمن قياسي دولة كبرى ضمت ثلاث قارات إلى عدة عوامل منها الحماس الديني والصفة العسكرية للأترك وإنشاؤهم للجيش الانكشاري⁽²⁰⁾، الذي كان عماد الدولة العثمانية وركيزتها الأولى في جميع الفتوحات وأداة حكمها للولايات العثمانية⁽²¹⁾؛

وكانت الدولة العثمانية في بدايتها اقطاعية صغيرة في منطقة بحر مرمرة وتوسعت ولكن ما ان مر قرن ونيف على سنواتها الأولى حتى فرضت هجمتها في البلقان وبحر إيجه، وشملت سلطتها في البلقان وبعد مدة قصيرة امتدت نحو منطقة بحر الادرياتيك الرافدين في قرنها الثاني، ونحت دولة ضمت سواحل البحر المتوسط عدا الغربية منها وضمت شمال افريقيا وحياتها ومفهوم سلطتها العالمية وجغرافيتها جعلها آخر الدول العظمى، وهي المنطقة الرائعة المؤسسة في عالم البحر المتوسط وهي دولة احتضنت ثقافته كلها مع إرثه ونقلتها إلى العالم المعاصر وكانت هذه وظيفتها التاريخية كدولة متوسطة⁽²²⁾.

أ.د. حامد محمد طه السوداني

ويرى الباحث أن الأتراك العثمانيين في هذه المرحلة كان أساس دولتهم مبني على مبدأ الجهاد ضد الكفار وكانوا يقسمون العالم إلى دار كفر ودار إيمان، وخاضوا حروب قاسية ضد الدول الأوروبية على هذا الأساس ولكن حدث تحول في أسلوب حياة هذه الدولة ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية بالتدريج حتى وصل إلى مرحلة الأخذ بالحدثة الأوروبية ووصل أيضا إلى شكل من أشكال العلمانية في الحكم.

ففي القرن الخامس عشر والسادس عشر حصل اندماج عثماني على الصعيد السياسي مع الدول الأوروبية وتمثل في افتتاح العديد من السفارات الأوروبية في استانبول أعقبها زيارات متلاحقة للسفراء العثمانيين إلى العواصم الأوروبية⁽²³⁾؛ وقد اختلف المؤرخون في تحديد ضعف الدولة العثمانية فمنهم من قال إن معاهد الامتيازات الفرنسية عام 1535، ومنهم من اعتبر الارتداد عن مالطا عام 1565 ومنهم من اعتبر وفاة السلطان سليمان القانوني 1566⁽²⁴⁾؛

ويمكن الإشارة إلى عوامل الضعف ومنها انغماس السلاطين العثمانيين في حياة اللهو والترف والملاذات وسيطرة الحريم وتدخلهم في السياسة والابتعاد عن أمور الحكم وتركها للصدور العظام والحريم وسيطرة العقليّة العسكرية والابتعاد عن التخطيط ومناقشة الموضوعات وانتشار الرشوة وفساد الإدارة فضلا عن الامتيازات الأجنبية التي منحت للدول الأوروبية⁽²⁵⁾؛

ويقصد بالامتيازات الأجنبية هي مجموعة الحقوق والتسهيلات التي تمنحها الدولة العثمانية للعديد من الدول الأوروبية تشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية والفضائية وهذه الامتيازات كانت في الأصل منحا تدل على كرم السلطان العثماني أو على الأكثر اتفاقيات متبادلة وكانت تستمر في حكم السلطان الذي منحها فقط وكان هدفها توثيق الروابط الاقتصادية⁽²⁶⁾؛

وهناك أسباب أخرى أدت إلى ضعف الدولة العثمانية منها سوء جباية الضرائب واتساع رقعة الدولة وتعدد قومياتها وعدم وجود رابطة قومية بينهم والزواج من الأجنيبات وعدم وجود خطة واضحة في استراتيجية الدولة وانتشار الجمعيات السرية والعلنية⁽²⁷⁾؛

فضلا عن حركة الكشوفات الجغرافية الأوروبية منذ نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر⁽²⁸⁾، وتدهور النظام المالي العثماني الذي كان له الأثر البالغ على كافة مؤسسات الدولة⁽²⁹⁾؛ وفي هذه المرحلة تنبه عدد من المسؤولين في الدولة إلى عوامل الانحلال واقترحوا حلولاً لمعالجتها ومن هؤلاء (لطفى باشا) وهو من أوائل رجالات الإصلاح العثماني⁽³⁰⁾؛

الذي كتب رسالته الإصلاحية (اصاف نامه) وضمنها الأفكار الأولى لمعالجة تدهور المؤسسات العثمانية وخاصة العسكرية⁽³¹⁾ وكذلك الأديب حاجي خليفة⁽³²⁾ ويعرف كاتب جلي 1608-1657 الذي قدم رسالته بعنوان (دستور العمل لإصلاح الخلل) إلى السلطان محمد الرابع 1648-1687 وكذلك حسين أفندي هزار في 1601-1679 وكان أشد قسوة على السلاطين وضرورة الإصلاح⁽³⁴⁾؛

ولمعرفة التوجهات العلمانية للدولة العثمانية التي بدأت تتضح معالمها منذ مطلع القرن الثامن عشر باعتبارها مغايرة تماما للتوجهات الإسلامية التقليدية هنا لابد من الاجابة على تساؤل يتعلق بطبيعة الدولة

الأتراك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأتراك تجاه أوروبا)

العثمانية وهل كانت حقاً دولة إسلامية وبدون الدخول في التفاصيل التاريخية يمكن القول أن العامل الديني وأن كان واضحاً في نشأة الدولة العثمانية أواخر القرن الثالث عشر إلا أن تلك الدولة لم تكن في بداية أمرها تعبر اهتماماً لمسألة الخلافة حتى وأن نظرية انتقال الخلافة من أواخر الخلفاء العباسيين إلى السلطان العثماني سليم الأول 1512-1520 لم يكن لها أي سند تاريخي لكن السلاطين العثمانيين وبخاصة بعد أن ضعفت الدولة وتكررت هزائمها العسكرية أمام الدول الأوربي صاروا يهتمون بحمل لقب (خليفة المسلمين) (35).

والذي يهمننا مناقشته في هذا المحور هو دراسة وتحليل انتقال العثمانيين من الحكم الإسلامي إلى الحكم العلماني والاختزال بالحداثة الأوروبية وتقليدها.

إن أولى المحاولات الإصلاحية كانت في عهد السلطان العثماني أحمد الثالث 1703-1730 (36)، إذا اعتقد بأن الاعتراف بالتفوق الأوربي مهم جداً من أجل السياسة الخارجية العثمانية وقد حاول إقامة علاقات وثيقة مع الدول الأوروبية وتقليد مظاهر الحياة العمرانية والاجتماعية (37) ويحدد أحد الكتاب الأتراك وهو نيازي بيركس سنة 1718 كبداية لأخذ الدولة العثمانية بالأفكار الأوروبية العلمانية وفي هذه السنة بدأت (ومضات علمانية) تلوح بالأفق العثماني بعد أن تقدم ضابط فرنسي هو (دي رشنفور *De Rochefor* بمشروع يتضمن نقل مظاهر التقدم الأوربي إلى المؤسسات العثمانية ويرى الدكتور خالد زيادة أن السلطان أحمد الثالث قد حرص على التعاون ومد الجسور مع الدولة الأوروبية والأخذ بنظمها الاجتماعية وتقليد مظاهرها العمرانية وفي عهده ادخلت أول مطبعة إلى استانبول 1728 وقد ألف إبراهيم متفرقة كتاباً سنة 1731 وطبع في استانبول وكان بعنوان (أصول الحكم في نظام الامم) ويشير إلى نزعة العلمانية السائدة في أوروبا آتي تقدم على مبدأ فصل الدين عن الدولة (38) وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك تأثير غربي على تركيا قبل القرن الثامن عشر بل العكس فقد كان الأتراك وهم يرفضون المسيحية والأفكار المسيحية والحضارة المسيحية لا يزالون يجدون الكثير من هذه الأشياء في أوروبا المسيحية مفيدة لهم بما يكفي وجذابة بما يكفي للاستفادة منها وتقليدها وتبنيها (39).

إن العمل الرئيسي الذي قام به السلطان أحمد الثالث هو تحقيق السلام وتشجيع الشعراء والادباء ومد الجسور مع الدول الأوروبية وتقليد حياتها الاجتماعية والعمرانية حتى عرفت هذه المرحلة باسم (عهد التوليب) إذ ازدهرت زراعة هذا النوع من الزهور ولم يكن سوى رمز للازدهار الذي عرفه الشعر والادب وكان السلطان مقتنعاً بضرورة الأخذ بما يظهر من أوروبا من مظاهر التقدم وخاصة في الميدان العسكري وفي عهده شجعت حركة الترجمة عن اللغات الأوروبية (40) وقد تبنى السلطان سياسة إصلاحية في كافة المجالات عن طريق الانفتاح الكامل مع الحضارة الغربية لذا عد بعض الباحثين أن عهده هو بداية الإصلاح الحقيقي في الدولة العثمانية (41).

إن الجانب الإصلاحي في عهد السلطان أحمد الثالث أخذ اتجاهاً غير مألوف معتمداً على أساليب الحضارة الأوروبية وسبل تقدمها (42) وبالرغم من أن القوى المحافظة استطاعت الاطاحة به إلا أن خلفه محمود الأول 1730-1754 تابع مشاريع الإصلاح وحدثت تطورات أولى من نوعها في مجال الانفتاح على أوروبا (43) ومن مظاهرها ما قام به السلطان سليم الثالث 1789-1808 من إرسال سفراء ومبعوثين إلى أغلب العواصم الأوروبية

أ.د. حامد محمد طه السوداني

ولأول مرة يصبح للدولة العثمانية سفراء دائمين في أوروبا وكان الهدف من ارسالهم توطيد العلاقات والتعرف على النظم الاوربية الإدارية والحضارية والعسكرية⁽⁴⁴⁾.

وقد تعددت الآراء حول تقليد العثمانيين للحدثة الاوربية يرجع الى تأثير الدولة العثمانية بالفكر العربي الذي ادى الى ظهور الثورة الفرنسية 1789⁽⁴⁵⁾ ويعد السلطان سليم الثالث أول سلطان عثماني اطلق عليه لقب (مصلح) في فترة ما قبل التنظيمات⁽⁴⁶⁾.

ومن مظاهر الإصلاح والاقتباس للحدثة الاوربية هو عصر السلطان محمود الثاني 1808-1839 الذي قام بالعديد من الاصلاحات منها القضاء على الإنكشارية وتأسيس الجيش الجديد (العساكر المحمدية المنصورة) وكذلك إصلاح البحرية ولكن الذي يهتما في هذا البحث هو الاصلاح الموجه نحو الغرب الاوربي والاخذ بأسباب الحدثة الاوربية؛ يعد السلطان محمود الثاني من أكثر السلاطين العثمانيين اهتماما في قراءة تاريخ الملوك العظام وقادة الجيوش الفاتحين وحبه للتعرف على الانظمة الاوربية وخاصة الفرنسية وعندما تولى العرش كان الاصلاح وتبني الحدثة الاوربية شغله الشاغل⁽⁴⁷⁾.

بدأ السلطان محمود الثاني بالإصلاحات المدنية والعسكرية معا 1808⁽⁴⁸⁾ واستفاد من اليهود والنصارى وساوى بينهم وبين المسلمين في التعيين في الدوائر الحكومية وإعطائهم مناصب رسمية حسب كفاءتهم وامكانياتهم⁽⁴⁹⁾ كما عمل على اصلاح التعليم وانشأ مدارس رشدية مفتوحة للطلاب الذين يرغبون الانتماء بعد التخرج من المدارس العليا مثل مدرسة الطب وغلى غرار النظام الاوربي⁽⁵⁰⁾ وارسل الطلبة إلى الجامعات والمؤسسات الاوربية للدراسة واكتساب العلم والمعرفة وتشجيعهم على تعلم اللغات الاوربية والاقتباس من حضارة الغرب وترجمة الكتب من اللغات الاوربية الى اللغة التركية والاخذ بأسباب الحدثة الاوربية⁽⁵¹⁾؛

وقد قام السلطان محمود الثاني بنفسه بزيارة العديد من العواصم الاوربية والاطلاع على نمط حياتها وقد اثمرت جهوده بظهور المترجمين ومنهم (شاني زادة) الذي وصف بانه (دائرة معارف) اذ ترجم العديد من الكتب الايطالية الى اللغة التركية⁽⁵²⁾؛

ويمكن القول بأن إصلاحات محمود الثاني كانت مهمة بالشكل الخارجي فبدلا من التركيز على اقتباس العلوم والصناعات والتكنولوجيا من أوروبا اتجه نحو الملابس والقيافة الخارجية وتقليد العادات غير الحسنة للعالم الاوربي ومن الامثلة حركة التغريب غير الجوهرية القيام بتعليق صور السلطان محمود الثاني في الدوائر الرسمية واجبار الموظفين على لبس البنطلون والسترة والطربوش.... الخ، ومع ذلك فانه لا يمكن في غضون عشر سنوات او عشرين تغيير ادارة غارقة في موروثها القديم وتغييره في فترة قصيرة⁽⁵³⁾.

وكذلك فان استقدام الخبراء الاجانب اتخذ في هذه المرحلة بعدا اخر بفعل زخم العمل التحديثي في الواقع وفي هذه المدة بدا استقدام الموارد العلمية من الغرب الاوربي ومن بينها استقدام الخبراء الاجانب من اجل تحديث الجيش⁽⁵⁴⁾ وكان معرفة اللغات الاجنبية شرطا لا مناص منه للانفتاح على أوروبا، إذ ترجمت كتب جغرافية من اللغة الفرنسية الى اللغة التركية لاستيعابها واعتمادها في المدارس الابتدائية والثانوية، وفي مجال رسم الخرائط استعيرت

الأتراك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأتراك تجاه أوروبا)

الخرائط الملاحية الحديثة الصادرة من فرنسا وانكلترا ونفذ الخبراء الاجانب خرائط الدولة العثمانية البحرية والبرية مثل الالماني هانيرش كيبرت *Heinrich Kiepert*⁽⁵⁵⁾.

ويمكن القول بأن السلطان محمود الثاني قد شكل قاعدة صلبة وأساسا قويا لما عرف بـ(التنظيمات العثمانية) التي بدأت مع اعتلاء خلفه السلطان عبد المجيد الاول عرش الدولة العثمانية⁽⁵⁶⁾.

وقد تعاضمت هذه الاصلاحات واخذت طابعا تشريعيا اطلق عليه المؤرخين مصطلح (التنظيمات) والتي توجت بإعلان الدستور العثماني سنة 1876 وقد قامت فلسفة التنظيمات على مبدأ المساواة بين الاديان وتمتع رعايا الدولة العثمانية بحقوق سياسية واحدة بدلا من التقسيم التقليدي القديم الذي كان يقوم على اساس ان هناك مواطنين مسلمين ورعايا غير مسلمين⁽⁵⁷⁾.

وكان الباحث على حركة التنظيمات هو حاجة الدولة العثمانية إلى اصلاح القوانين المدنية وأساليب الحكم وشؤون الادارة وقد تميز عهد السلطان عبد المجيد الاول بالعديد من الاصلاحات التحديثية خلال المدة 1839-1861 وكان في مقدمتها خط شريف كوتخانه والذي كان بضغط من الدول الاوربية وقد أعلن عن هذا الخط في 3 تشرين الثاني 1839 وتلاه نيابة عن السلطان مهندس التنظيمات مصطفى رشيد باشا، وقد اعتبر بعض الاوروبيون خط شريف كوتخانه بمثابة العهد الاعظم بالنسبة للعثمانيين فقد أكد وللمرة الاولى وبصفة رسمية المساواة بين جميع رعايا السلطان امام القانون وكان يعني ذلك القضاء على نظام الملل وتوفير الاخاء بين كل رعايا العثمانيين⁽⁵⁸⁾ ويعد مرسوم كوتخانه مرحلة هامة من مراحل التحديث العثماني، وكان بمثابة الاعتراف القانوني والسياسي بالتغيرات البنوية والادارية وفي هذا الخط تبدو الملامح الرئيسية للديساتير الاوربية التي شهدتها اوربا خلال ثلاثينات القرن التاسع عشر⁽⁵⁹⁾ ويذهب المؤرخ *shew* ان خط شريف كوتخانه احتوى على كثير من المثل العليا التي تضمنها الاعلان الفرنسي لحقوق الانسان والمواطن والصادر في عام 1789⁽⁶⁰⁾ وقد عمم المرسوم على جميع الايالات وابلاغ سفراء الدول الاجنبية رسميا مما يدل على اهتمام الدول الاوربية في شؤون الدولة العثمانية الداخلية⁽⁶¹⁾ وتبعه مرسوم اخر سمي (خط شريف همايون) 1856 واستهدف هذان المرسومان الاصلاحات تحديث الادارة وتحسين الاوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمكان والا هم من ذلك اصدار سلسلة من القوانين الادارية منها اصدار القانون المدني الجديد 1869-1876 وبموجبه احدثت محاكم مدنية موازية في الظاهر للمحاكم الشرعية وحلت البزة الرسمية الاوربية والطربوش محل الثياب الفضفاضة والعمائم⁽⁶²⁾.

وقد توجت هذه الجهود الاصلاحية العثمانية بصدور الدستور المدني لعام 1876 وقد استمر هذا الدستور مواده من الدستور البلجيكي تناول المساواة المدنية والسياسة وشغلت موافقة الدستور للشرعية الاسلامية كل دعاة الاصلاح آنذاك حتى ان شيخ الاسلام قال للسلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909 يوم اعلانه ان الدستور مطابق للشرع الشريف، وفي 19 اذار 1877 اجتمع البرلمان العثماني بمجلسيه الاعيان والنواب ولكن السلطان عبد الحميد الثاني استغل فرصة اعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية 1877 لتأجيل اجتماع البرلمان وتعليق الدستور ثم اتخذ من دعوة الجامعة الاسلامية شعارا لسياسته وكان من نتائج استبداد السلطان عبد الحميد ان تنامي الوعي القومي بين الأتراك ونجحت جمعية الاتحاد والترقي وهي منظمة سرية لها علاقة بالماسونية تأسست

سنة 1889 في قيادة انقلاب عسكري في 23 تموز 1908 وإعادة العمل بدستور 1876 وخلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909⁽⁶³⁾.

- المحور الثالث: الاتراك القوميين وسياسة التغريب (مرحلة مصطفى كمال وخلفاؤه)

ترتب على هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى 1914-1918 خسارة معظم ممتلكاتها فيما عدا الاناضول في القسم الاسيوي واستانبول والمناطق القريبة منها في القسم الاوربي وهذا الذي تبقى واجه تحديات جديدة فقد احتلت قوات تابعة للحلفاء العاصمة استانبول وفي 15 ايار 1919 احتلت القوات اليونانية ميناء ازمير وتوغلت داخل الاناضول لاحقا معلنة انها جاءت لبعث الامبراطورية البيزنطية واركتبت مجازر بحق السكان المدنيين وقد برزت ردود فعل داخلية وطموحات ارمينية وكردية لاستقلالها وكذلك برزت قوة مسلحة في الاناضول وفي 19 ايار 1919 وصل مصطفى كمال باشا (1881-1938) الى ميناء سامسون على البحر الاسود بصفة مفتش للفيلق العثماني التاسع في ولايتي ارضروم وسيواس وبدلا من تولي مهام منصبه الجديد بادر الى تنظيم وقيادة حركة المقاومة في الاناضول⁽⁶⁴⁾.

وفي 19 اذار 1920 اعلن مصطفى كمال ان الامة التركية قد شكلت برلمانها الخاص باسم (المجلس الوطني الكبير) والذي عقد اولى جلساته في انقرة بتاريخ 23 نيسان 1920 وانتخب مصطفى كمال رئيسا له وفي 20 كانون الثاني 1921 صدر شبه دستور باسم قانون التشكيلات الاساسية) اكد على مبدأ السيادة الشعبية وجعل المجلس الوطني الكبير الممثل الوحيد للامة التركية⁽⁶⁵⁾.

بدأت اعمال المقاومة تنظم تدريجيا في مناطق الاناضول وفي الارياض والمدن وقد وصف مصطفى كمال هذه المدة في خطاب مطول بقوله (كانت السنوات الطويلة للحرب الكبرى قد ادت الى اتهاك الامة التركية واولئك الذين جروا الشعب الى الحرب لا يهتمون الا بخلاصهم الشخصي يهربون من الميدان⁽⁶⁶⁾) ان قصة تطور الحركة الوطنية التركية في المؤتمرات الاقليمية في سنتي 1918 و 1919 ادت الى الانتصار في عام 1922 هي في الوقت ذاته قصة بروز مصطفى كمال باشا كقائد وحيد لهذه الحركة مع ان سلطته تعرضت للعديد من التحديات⁽⁶⁷⁾. وقد المح مصطفى كمال في مقابلاته الشخصية مع الصحافة التركية انه ينوي اعلان الجمهورية⁽⁶⁸⁾ وجاءت الخطوة الاخيرة في 29 تشرين الاول 1923 عندما اصدر المجلس الوطني الكبير وترتبت من مصطفى كمال قانونا قضى بان تكون تركيا جمهورية لها رئيس ينتخبه المجلس الوطني الكبير وتكون له صلاحية تعيين رئيس وزراء وفي مسار اليوم نفسه انتخب مصطفى كمال رئيسا للجمهورية التركية⁽⁶⁹⁾.

والذي يهمننا في هذا المحور هو اجراءات مصطفى كمال اتاتورك وخلفاؤه من بعده لتحديث تركيا وتوجيهها نحو الغرب الاوربي والاخذ بمظاهر الحداثة والحياة الاوربية ليتسنى لنا فهم هذه التوجهات وتحليلها وبيان الاسباب التي ادت الى الاخذ بها والاصرار على الارتباط الوثيق بالغرب.

يمكن القول ان التحول التركي والتوجه نحو اوربا بدأ عمليا مع حركة مصطفى كمال الذي تبني الحداثة الاوربية فقد نظر اتاتورك الى اوربا على انها النموذج الامثل المضمون وكان بذلك اول زعيم تركي يتبنى الحضارة

الأترك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأترك تجاه أوروبا)

الأوربية نهجا رسميا للدولة ويذكر أتاتورك أن (الحضارة التي يجب أن ينشئها الجيل التركي الجديد هي حضارة أوروبا شكلا ومضمونا لأن هناك حضارة واحدة هي الحضارة الأوروبية وهي القائمة والموصلة إلى القوة والسيطرة على الطبيعة وخلق الإنسان السيد والامة السيدة).

وإن جميع أمم العالم مضطرة إلى الأخذ بالحضارة الأوروبية لكي تؤمن لنفسها الحياة والاعتبار⁽⁷⁰⁾؛ وبمجرد أن تحقق النصر في حرب الاستقلال التركية ووسط أجواء الفرح بنشوة النصر كان في تصريح أتاتورك (الآن تبدأ الحرب الحقيقية إشارة واضحة على أن ثمة خططا تتمثل في ذهنه نحو القيام بثورة سياسية واجتماعية داخل البلاد⁽⁷¹⁾).

بداة صياغة مبادئ النظام الكمالي الجمهوري في تركيا ووضعت المبادئ الستة للثورة التي قادها مصطفى كمال فيما عرف بـ(الثورة الكمالية) وهي الجمهورية والعلمانية والشعبية والانقلابية والدولية والوطنية (الملية)⁽⁷²⁾.

وقد قام مصطفى كمال الذي هو نتاج الفلسفة الوضعية الأوروبية والذي ثقف نفسه بنفسه ودولته على مبادئ الحداثة والعقلانية كما جرى تطويرهما وممارستها في أوروبا غير أنه لم يرق قط باختراع أي ايدولوجية شاملة تشكل سندا لأفعاله فقد بادر بدلا من ذلك إلى اعتماد نظرة ذرائعية (برغمانية) إلى جملة المشكلات المرتبطة بتنظيم وقيادة النضال في سبيل الاستقلال واقامة دولة الحداثة الجديدة في تركيا، أما بات ما يعرف فيما بعد باسم (المبادئ الكمالية) فلم يكن إلا العقلنة اللاحقة لمجموعة معينة من الافكار المحددة التي أراد بناء الجمهورية على اساسها واضفت المشروعية على سلطته وحكم ابداعه من بعده الذين كانوا يشكلون نخبة الدولة الجديدة⁽⁷³⁾.

وبعد أشهر قليلة من قيام الجمهورية التركية وشن مصطفى كمال وأعوانه عملية تغير سريعة وجذرية في المؤسسات وتنظيم والقوانين والرموز الاسلامية الهوية بهدف علمنة الدولة والمجتمع في تركيا وقطع صلة تركيا بتراثها ومحيطها العربي والاسلامي، والحقيقة ان الدولة العثمانية سبق وأن شهدت منذ القرن الثامن عشر محاولات متواضعة للاقتباس من أوروبا ولاسيما في المجال العسكري ثم تطورت في القرن التاسع عشر إلى التوسع نسبيا في مجال تحديث واستحداث بعض المؤسسات والنظم والقوانين ومع أن نقاشات جوهرية جرت في سياق تلك المحاولات في أوساط الساسة والبيروقراطيين والمثقفين على اختلاف مشاربهم حول المدى الذي ينبغي الذهاب إليه في عملية الاقتباس تلك ما بين داع إلى اقتباس تقنية الغرب حصرا وداعي إلى اقتباس مؤسساته وقوانينه واسلوب حياته ايضا⁽⁷⁴⁾.

لقد أراد مصطفى كمال بناء دولة الحداثة العصرية على غرار الدول الأوروبية والنمط الغربي منطلقا من ايدولوجية العلمانية وسعى إلى تحقيق قطيعة تاريخية مع الماضي الإسلامي سعيا إلى إبعاد تركيا عن المجموعة العربية والاسلامية (بوصفها متخلفة حسب اعتقاده) وتحقيق الحضارة الغربية الحديثة⁽⁷⁵⁾.

وانسجاما مع هذا النهج سعت تركيا إلى الاندماج مع المنظومة الأوروبية وكثيرا ما تطلب الأمر اجراءات قسرية للتخلص من الرموز المعارضة وعملت الحكومات التركية المتتالية على بناء المؤسسات الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية المستوحاة من المجتمع الاوربي الغربي فقد انضمت تركيا إلى حلف شمال الأطلسي عام 1952 وإلى حلف بغداد 1955 وإلى حلف الستة عام 1959 وكانت أول دولة اسلامية اعترفت بإسرائيل

أ.د. حامد محمد طه السوداني

عام 1949 وفي حزيران 1959 تقدمت تركيا بطلب العضوية إلى السوق الاوربية المشتركة ونجحت في عام 1963 من توقيع اتفاقية أنقرة للشراكة الاقتصادية مع أوروبا⁽⁷⁶⁾.

إن التغيرات التي شهدتها تركيا في عهد مصطفى كمال الذي كان من أكثر دعاة التغريب والحداثة شجاعة وعن هذا الأمر يقول الباحث التركي المعروف (شريف ماردين) (كانت العلمانية قيد العمل في عهد الاتحاديين كوعي بل حتى كإيديولوجية مموهة ولكن تم ايصالها إلى نهاياتها المنطقية من قبل أتاتورك مؤسس الجمهورية التركية، أن العلمانية مفهوم غربي النشأة شكلا ومضمونا وهي حصيلة تطورات سياسية واقتصادية في تاريخها الحديث واندفع مصطفى كمال والنخبة البيروقراطية والعسكرية والمؤيدة لمشروع علمنة الدولة والمجتمع في تنفيذ المشروع بسرعة وبصورة جذرية اذ اعتقد أتاتورك انه ليس هناك وقت كافٍ واتسم هذا المشروع بموقف عدائي واضح من الاسلام الذي عده أولئك المؤسسون عقبة حقيقية في طريقهم على أساس تطور مفاده أن الدين أدى دورا محافظا في الهيكلية الاجتماعية والاقتصادية للدولة العثمانية⁽⁷⁷⁾.

ومن جهة أخرى عبر الفهم الكمالي للعلمانية عن رغبة قوية في تأكيد الطابع القومي للغة والثقافة التركية والعمل على ازالة المؤثرات العربية والفارسية عليها وكان هذا يعني فيما يعنيه قطع صلة تركيا بمحيطها الاسلامي لصالح توجهها الغربي ففي آذار 1924 القى مصطفى كمال خطابا في المجلس الوطني الكبير أكد فيه على صيانة وضمان استقرار الجمهورية التركية واقامة نظام تعليم قومي موحد، وفي 3 آذار اصدر ذلك المجلس المذكور ثلاث قوانين مهمة استهل بها مشروع علمنة وحداثة الدولة والمجتمع⁽⁷⁸⁾.

وفي 3 آذار عام 1924 أعلن أتاتورك إلغاء منصب الخلافة الإسلامية وإقام دولة علمانية تعتمد في دستورها على القوانين الأوربية ثم حل في العام نفسه منصب شيخ الإسلام والحق المدارس الدينية بوزارة مدنية كما أغلق جميع المحاكم الدينية وأوقف العمل بالقضاء الإسلامي، ومع بداية عام 1926 ألغى أتاتورك التقويم الهجري الإسلامي واستبدله بالتقويم الميلادي وفي عام 1928 أعلن عن إجراءات تقضي بإلغاء مادة من الدستور (الاسلام دين الدولة الرسمي) وفي العام نفسه ألغى الحروف العربية في اللغة التركية والزم استخدام الحروف اللاتينية وأمر بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية وكذلك تلاوة الصلاة باللغة التركية وفي عام 1935 جرى تبديل يوم العطلة الأسبوعي من يوم الجمعة الذي له قدسية في الدين الاسلامي إلى يوم الأحد وقرر إلغاء الطربوش العثماني والقلبي الشركسي والعمامة الكردية واستبدالها بالقبعة الاوربية⁽⁷⁹⁾؛

وفي اشارة واضحة إلى النزعة القومية المتشددة للعلمانية الكمالية صدر في 3 اذار 1924 مرسوم بحضر التخاطب باللغة الكردية أو التعليم أو النشر بها، ورسم خطة متكاملة لتقويض دعائم الهوية الكردية طالت اللغة والذاكرة وحتى الأعراف والتقاليد الكردية، وكذلك اتخذ موقفا متشددا من الإسلام الشعبي (الطرف الصوفي) وجرت محاولات لتغيير النظام القانوني في عام 1924 وتبنت الدولة التركية قوانين أوربية جاهزة منها القانون المدني السويسري عام 1926 وقد وجه مصطفى كمال والنخبة الكمالية جزءا من اهتمامهم في مجال ازالة الرموز والشارات ومظاهر الحياة الاجتماعية ذات الهوية الاسلامية واحلال رموز ومظاهر ذات طبيعة مسيحية أو أوربية،

الأترك والحدائة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأترك تجاه أوروبا)

وقد صدرت قوانين وقرارات عديدة ففي عام 1925 منع أي شخص من ارتداء الزي الديني باستثناء الموظفين الدينيين (الائمة والخطباء والمؤذنين) (80)؛

ومضى أتاتورك إلى أبعد من ذلك عندما فرض مبدأ العلمانية في الدستور وأنشاء مؤسسات تابعة للدولة تشرف على الشؤون الدينية وتضبط حركة الائمة والخطباء والوعاظ الذين تحولوا إلى موظفين عند الدولة كما ألغى الدروس الدينية من المدارس ووضع أتاتورك تركيا على سكة الحدائة والتغريب وهدم نظام الثقافة والقيم السائدة في تركيا ولم يستطيع أن يرسخ نظام القيم الغربية الجديدة وتعميمه لدى كل الفئات الاجتماعية فاقصر على نخبة كمالية تشكل أساسا من كبار الضباط والموظفين وأرباب المهن الحرة فيما بقيت الأكرتية الساحقة مرتبطة بالإسلام ممارسات وسلوكا يوميا (81)؛

وكذلك صدر قانون منح حق المرأة في الترشيح والتصويت في الانتخابات المحلية (البلدية) منذ عام 1931 والانتخابات البرلمانية عام 1934 وفي العام نفسه صدر قانون الزم الأترك تبني اسم العائلة بدلا من الالقاب العثمانية (82)، ولم يسع أتاتورك للقضاء على الايمان الاسلامي في نفوس الأترك مع أنه يمكن له أن يكون قد تمنى في سره لو أن الأترك كانوا نصارى (83)؛

تزامنت عملية التحديث الاجتماعي والاقتصادي تسارعا كبيرا وتركت أعباء ثقيلة على كاهل المجتمع التركي مما لبثت عملية التحديث والتغريب الاجتماعي أن اكتسبت زخما كبيرا أدى إلى التوسع السريع للبنى التحتية الخاصة بالمواصلات والاتصالات الحديثة إلى فتح أبواب حتى أبعد مناطق البلاد أمام منجزات الحضارة الغربية الحديثة ورافق عملية التحديث الاجتماعي مع عملية اقتلاع جذور اجتماعية موازية لأن كتلا كبيرة من السكان هاجرت من الريف إلى المدينة وهنا ثمة خلل اساسي تعاني منه جملة التطورات الاجتماعية ألا وهو الافتقار إلى منظومة قيم ثابتة فالحدائة الأوروبية السائرة في طريق العولمة تتسم بالانفتاح وتشجيع النزعات الفردية داخل المجتمعات وهذا كله يتناقض مع معايير السلوك التركية التقليدية المستندة إلى الدين من جهة والنمط ذي التوجه الجماعي المماثل للمبادئ الكمالية من جهة أخرى وأن منظومات القيم الراسخة وأنماط السلوك المعتمدة في تركيا تواجه تحديات متنامية من جانب معايير مستوردة من الخارج تميل إلى نسف النظرة العضوية السائدة إلى العالم (84)؛ لقد سعى أتاتورك إلى اللحاق بالغرب الأوروبي وحاول جعل تركيا دولة أوروبية وسعى خلفاؤه من بعده على نفس النهج ولكن بعد مرور (91) عاما لم تصبح تركيا أوروبية ولا بقيت دولة شرقية آسيوية مسلمة فقد خسرت هويتها وأصبحت بالانفصام الاجتماعي والسياسي ودستورها مستمد من الدساتير الأوروبية (85).

وقد ظلت تركيا خلال مدة حكم أتاتورك 1923-1938 دولة دكتاتورية بحكمها حزب واحد وبعد الحرب العالمية الثانية تعرضت تركيا إلى تغيرات أساسية طالت نظامها السياسي والاقتصادي وعلاقاتها الخارجية والانتقال من مرحلة الحزب الواحد إلى مرحلة التعددية الحزبية عام 1946 (86)، وبعد وفاة أتاتورك عام 1938 ترك نخبة علمانية ومدنية وعسكرية مؤمنة بمبادئه وتعاليمه وأفكاره وقد واصلت النخبة الكمالية على خطأ أتاتورك من التوجه نحو الغرب، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية وظهور التعددية الحزبية ظهرت في تركيا أحزاب علنية وأخرى سرية تمثل وجهات النظر القومية والاسلامية واليسارية الشيوعية وغدت مفهوم الحدائة تتصارع مع هذه

أ.د. حامد محمد طه السوداني

الاتجاهات مما أوقع تركيا في شرك أزمة الهوية والبحث عن الذات، وبعد استعراضنا لجهود القوميين الاتراك لأخذ الحداثة وجدنا في نهاية المطاف إن تطبيق الحداثة بمفهومها الغربي يتعارض مع القيم الشرقية الاسلامية ولكن يمكن اعتبار تركيا اقرب البلدان الاسلامية سعيا وراء الاخذ بالحداثة.

المحور الرابع: أترك الإسلام السياسي ومحاولات الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي (مرحلة حزب العدالة والتنمية)

بعد حظر حزب الرفاه بزعامة نجم الدين أربكان عام 1998 أعاد الحزب صياغة نفسه من جديد تحت اسم (حزب الفضيلة) لكنه تعرض للحظر أيضا عام 2001 مما أحدث انقسامًا في قيادة الحركة الاسلامية بين حزب السعادة الذي يضم نخبة محافظة و متمسكة بتوجهات ومبادئ أربكان، ومن جهة أخرى قدم حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوغان وعبد الله كول منذ انطلاقة صورة حزب ديمقراطي متمسك بمرجعيته الاسلامية لكنه لا يرغب بالانفصال عن حركة الرأسمالية وهو يستند إلى قاعدة انتخابية غير متجانسة وهو حزب سياسي تركي يصف نفسه بأنه حزب محافظ معتدل غير معاد للغرب يتبنى رأسمالية السوق يسعى لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، ويحرص أن لا يستخدم الشعارات الدينية في خطابه السياسية⁽⁸⁷⁾.

أعلن عن تأسيس الحزب في 14 اب 2001 في حفل بسيط في أحد فنادق أنقرة ودعي إليه الصحفيون وكانت قائمة الاعضاء المؤسسين تشمل العديد من الاساتذة الجامعيين والمثقفين ورجال القانون⁽⁸⁸⁾؛

وقد ضم في الهيئة التأسيسية للحزب (13) امرأة (4) منهن مطربة ومثلة وطبيبة ومعلمة فضلا العديد من شخصيات حزب الفضيلة الذي تم حظر نشاطه السياسي وفئة أخرى جاءت من أحزاب قومية وعلمانية⁽⁸⁹⁾؛ وفيما يتعلق بفلسفة الحزب فقد ورد بشق الحقوق الاساسية والجريان في وثيقة اعلان المبادئ أنه يعتبر مصطفى كمال عنصر السلامة الاجتماعي واداة تحمل تركيا إلى مستوى الامم المتحدة والمتحضرة وأنه ينظر إلى الدين كأهم المؤسسات الاسلامية وإلى العلمانية كضرورة للديمقراطية ولضمان حرية الاعتقاد وأن العلمانية تعد مبدأ لصيانة الحريات حتى يؤدي المؤمنون واجباتهم الدينية ومناخا يمكنهم من المجاهرة باعتقاداتهم وهي تسمح كذلك لغير المؤمنين بالعيش حسب افكارهم⁽⁹⁰⁾؛

وقد تزامن دخول القرن الحادي والعشرين مع هجمات الحادي عشر من ايلول 2001 على واشنطن ونيويورك مما زاد من حدة التوتر القائم بالفعل مع الولايات المتحدة الامريكية ودول العالم الاسلامي وقد أصبح المسلمون متهمون بالإرهاب وأعلنت الحرب على افغانستان وكذلك العراق وأعطت الولايات المتحدة الامريكية الضوء الاخضر لإسرائيل بضرب الانتفاضة الفلسطينية الثانية⁽⁹¹⁾.

أما فيما يخص برنامج الحزب فقد تبنى برنامجا اصلاحيا تنمويا بعيدا عن الجدل الايديولوجي مشددا على التحرك ضمن الاطار العلماني والاندماج في المؤسسات الأوروبية وفتح الطريق أمام تركيا للحصول على العضوية الكاملة في الاتحاد الاوربي⁽⁹²⁾.

وقد طرح سؤال على العديد من المحللين السياسيين وبشكل متزايد منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام 2002 مما أدى إلى تغير جذري في السياسة الخارجية التركية وانشغل العديد من الاكاديميين وطلاب

الأترك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأتراك تجاه أوروبا)

الدكتوراه والعاملين في مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا (حليفي تركيا الاساسيين في الغرب) بمتابعة المبادرات الدبلوماسية لحزب العدالة والتنمية⁽⁹³⁾ وقد سعى الحزب لوضع برنامج سياسي واجتماعي يؤهله للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وجعل ذلك هدفا أساسيا ومركزيا وكم تمنى ان يكون انضمام تركيا الى الاتحاد الاوربي من نصيب حزب العدالة والتنمية ليكون منجزا تاريخيا له.

وقد أصدر حزب العدالة والتنمية (8) حزم قانونية للتوافق مع الاتحاد الاوربي فضلا عن القوانين والاصلاحات والتعديلات الدستورية لغرض قبول الاتحاد الاوربي تركيا كعضو في الاتحاد⁽⁹⁴⁾.

وقد مكن هذا العمل حزب العدالة والتنمية من الحصول على الدعم الاوربي للمضي في تنفيذ اصلاحاته الشاملة في البلاد والتي شملت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁹⁵⁾ وكان أحد أهداف سياسة حزب العدالة والتنمية المهمة هو الانضمام إلى الاتحاد الاوربي والتي ترى في ذلك (الطريق الامثل) لتحقيق مصالح تركيا القومية والاستجابة العلمية لتحديات كبرى كانت أوروبا نفسها هي مصدرها الرئيسي وبخاصة مسيرة الدولة الجمهورية بداء بمواجهة أوروبا - الغرب الذي تقرر في ما بعد الامتثال له أو للحاق به وهذا من المفارقات السياسية والتاريخية وإن كان يتطلب تقصيا جديا من أجل التوصل إلى (النقطة الحرجة) في تحول المدارك التركية تجاه أوروبا من مصدر تهديد الى حليف ومثال يحتذى به⁽⁹⁶⁾.

ويؤكد أردوغان وأحمد داوود أوغلو أن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي كعضو كامل العضوية هو خيار استراتيجي لكن مدى نجاح حزب العدالة والتنمية في تحقيق هذا الهدف يبقى مثال جدل فمنذ أيام العثمانيين كانت علاقات الأتراك بأوروبا مثار اخذ ورد وحتى القرن الخامس عشر كان العثمانيون بالدرجة الاولى قوة اوروبية اذ ان عاصمتهم آنذاك اجنبية كانت تقع على البر الاوربي ومعظم الاراضي التي كانوا يسيطرون عليها تقع في اوروبا وقد تعزز هذا الوضع مع فتح القسطنطينية ولم يتغير الحال الا في بداية القرن السادس عشر حيث استولى العثمانيون على ممتلكات اسبوية وافريقية وبالنسبة للدول الاوروبية المسيحية قد كان العثمانيون قوة عدائية تسعى للتوسع في قلب اوروبا مهددة بالتالي هويتها كقارة مسيحية وقاطعة عليها طرق التجارة الاتية من الهند والصين وبحلول القرن التاسع عشر بدا العثمانيون بالانفتاح على اوروبا بغية تحديث جيشهم ولم تعد اوروبا ميدانا للفتوحات بل نموذج يحتذى به⁽⁹⁷⁾.

وشكل تبني العلمانية في جزء منه محاولة من النخب التركية للاندماج مع اوروبا وشعروا هؤلاء بأنهم اوروبيون لكن الاوروبيون لم يبادلوهم هذه المشاعر فقد اعتبر المسيحيين الاوروبيون بان الأتراك المسلمين دخلاء على اوروبا وسيؤدي قبولهم في الاتحاد الاوربي الى اضعاف الهوية الاوروبية⁽⁹⁸⁾.

وترجع ايضا تحفظات الاتحاد الاوربي الى عدة اسباب منها احترام حقوق الانسان وحل المسألة الكردية ومشاكل الاختلاف الثقافي والديني⁽⁹⁹⁾.

وفي كانون الثاني 2012 اقرت الجمعية الوطنية الفرنسية قانونا يعتبر مسالة انكار المجازر الجمعية الوطنية الفرنسية قانونا يعتبر مسالة انكار المجازر الارمنية جرما يعاقب عليه القانون كما اثارته الاحتجاجات الاوروبية ضد تركيا وتميزها ضد الاقليات العرقية من ارمن واكراد وعرب وعلويين واشوريين..... الخ عراقيل اضافية تجاه طلب

تركيا ان تصبح عضو كامل العضوية في الاتحاد الاوربي ورغم ذلك الرفض فان القيادة التركية بزعامة أردوغان جددت تأكيد خيارها بالانضمام إلى الاتحاد الاوربي⁽¹⁰⁰⁾.

هذه المبادرات تشير الى ان حزب العدالة والتنمية قد تبني اجندة الالتزام بالمعايير التي وصفها الاتحاد الاوربي (معايير كوبنهاغن) من اجل تحقيق العضوية الكاملة لتركيا لكن الواقع يشير الى انه على دول الاتحاد نفسها ان تتجاوز عدائها للقبول بعضوية بلد مسلم في الاتحاد، ويرى البعض ان تركيا بثقافتها ودينها الاسلامي ليست بلدا اوريا وبالمحصلة فان علاقات تركيا بالاتحاد الاوربي كانت دائما شبيهة بالاصطياد بالماء العكر.

الخاتمة

بعد دراسة موضوع (الأتراك والحداثة الاوربية) والتعرف على البنية الفكرية والسياسية والاجتماعية للأتراك من خلال تاريخهم الطويل وجدنا ان احد اسباب تأثر الأتراك بالمنظومة الاوربية هو الطبيعة الوجدانية المنفعلة وهي صفة تركية وجدت منذ نشأتهم في اواسط اسيا وتأثرهم بالأقوام من حولهم فتاريخ الأتراك يشهد بالتغيرات المهمة في كافة المجالات الدينية والسياسية والحضارية، وسوف نعرض كل مرحلة من مراحل تاريخ الأتراك ومقدار تأثرهم بالحداثة فعلى سبيل المثال ان الأتراك في العهد العثماني هو اول شعب مسلم تأثر بالحضارة الاوربية وحاول استيرادها وتقليدها رغم ان بعضها تتعارض مع ثوابت العقيدة الاسلامية التي كانت اساس الحكم العثماني لقد جلب السلاطين العثمانيين مظاهر الحداثة الاوربية وحاولوا تطبيقها في الدولة العثمانية وفي بعض الجوانب نجحوا وفي بعض الجوانب اخفقوا لكن هذه التجربة كانت بذرة اولى للأتراك لاحقا من اجل تقليد الغرب لاحقا ويمكن الاشارة الى فشل التجربة هو ان الحداثة الاوربية نشأت وولدت في بيئة اوربية خالصة، ويوجد اختلاف بين المجتمع العثماني والاوربي من حيث المكونات وبالتالي كان لذلك اثره الواضح في تباين الثقافات ومن ثم بدايات الحداثة في المجتمع العثماني يخضع لتكوينات مختلفة الثقافات من حيث العرق والمعتقد يعني بشكل اخر غير متجانس وهذا الامر لا ينطبق على الواقع الاوربي الذي يتميز بمجتمعات متجانسة فكريا نابعة من وحدة المكون العرقي والعقائدي فعلى سبيل المثال في فرنسا لا يوجد غير الفرنجة الكاثوليك وفي المانيا لا يوجد غير الجرمان ذوي المعتقد البروتستانتي وفي روسيا السلاف ذوي المذهب الأرثوذكسي وبالتالي استندت على واقع اجتماعي متآلف ومتجانس وهذا بالضرورة لا يمكن اسقاطه على الواقع العثماني.

اما المرحلة التالية وهي فترة حكم مصطفى كمال اتاتورك وخلفاؤه وهؤلاء النخبة العلمانية الذين حاولوا تغريب تركيا والحقها بالمنظومة الاوربية ثقافيا وسياسيا واجتماعيا لاقت بعض المعارضة من قبل الاتجاهات الاسلامية في المجتمع التركي وخاصة في الريف لان المجتمع التركي بطبيعته مجتمع مسلم وان الحداثة والعلمانية هي طارئ على تاريخه ويمكن وصف القول على هذه المرحلة بانه لا يمكن استيراد الثقافات وفرضها على المجتمع بالقوة ولا يمكن التأسيس على حادثة مستوردة ومن ثم البناء عليها في واقع ليس مستعدا لتبني بدايات تلك الحداثة، فالحداثة هي نتاج وتطور المجتمعات فكريا وسياسيا.

الأتراك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأتراك تجاه أوروبا)

اما المرحلة (مرحلة الاسلام السياسي: حزب العدالة والتنمية) فهي كسابقتها حاولت جاهدا الانضمام الى الاتحاد الاوربي وتمنت ان تكون صاحب هذا الانجاز لكن الاحداث اثبتت غير ذلك فالاتحاد الاوربي والمجتمع الاوربي يرفض مرارا وتكرارا انضمام الأتراك الى أوروبا.

وفي نهاية الدراسة لابد لنا ان نشير بوضوح اخفاق الأتراك عبر المراحل التاريخية ان يكونوا جزءا من المنظومة الاوربية وان هذا الاخفاق قد ولد للأتراك ازمة هوية وبحث عن الذات لان المجتمع التركي اصبح مجتمعا غير مستقرا من الناحية الفكرية والعقائدية فأصحاب الحداثة كانوا اغلبهم من النخب العسكرية والمدنية والاقتصادية وهؤلاء لم يستطيعوا تضيق الحداثة على جميع افراد المجتمع وبقي القسم الاكبر من الأتراك وخاصة من الريف هو مجتمع مسلم ملتزم محدث انشغالات وصراعات حول شكل وهوية الدولة التركية واختلطت الافكار ببعضها البعض ونتج عنها ظهور دولة ناشئة فهي لم تستطيع ان تكون اوروبية ولم تستطع البقاء على هويتها الاسلامية .

الهوامش

- (1) فتحي سالم اللهبي، مملكة جورجيا في العصور الوسطى (دراسة في نشأتها وعلاقاتها الخارجية) ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع (عمان-2015) ص25.
- (2) اسامة احمد تركماني، تاريخ الأتراك والتركمان ما قبل الاسلام وما بعده، دار الارشاد للنشر (سوريا-2007) ص 13-14.
- (3) احمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، دار ايتزال للنشر والتوزيع (القاهرة-2005) ص 15.
- (4) يلماز ايتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للنشر والتوزيع والتمويل (استانبول-1988) ص 172.
- (5) حسام داود خضر الاريلي، الترك والتاريخ التركي في العراق (دراسة تاريخية علمية) ط1، مكتب التفسير للطباعة (اريل-2018) ص 38.
- (6) المصدر نفسه ص 17.
- (7) شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية تحقيق حسن السماحي سويدان، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت-2011) ص 23-24.
- (8) تركماني، المصدر السابق، ص 29-43.
- (9) ازوتونا، المصدر السابق، ص 38.
- (10) المصدر نفسه ص 38.
- (11) المصدر نفسه ص 40.
- (12) عبد الجبار قادر غفور وشامل العلاف، اللغة التركية والادب التركي في ابراهيم خليل احمد، تركيا المعاصرة مركز الدراسات الاقليمية (التركية-سابقا)، (جامعة الموصل - 1987) ص 78.
- (13) متولي وفهمي، المصدر السابق - ص 20.
- (14) الاريلي، المصدر السابق، ص 114.
- (15) المصدر نفسه ص 114-115.
- (16) المصدر نفسه ص 116.
- (17) المصدر نفسه ص 117.
- (18) محمد طه الجاسر، تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب، ط1، دار الفكر (دمشق-2002) ص 21-22.
- (19) وديع ابو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع (عمان-2003) ص 21.
- (20) الجاسر، المصدر السابق، ص 26.
- (21) جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع بياييك قنطينة في نهاية العهد العثماني، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة (الجزائر - 2008) ص 2.

- (22) ايلير اورتالي، العثمانيون في ثلاث قارات، ترجمة عبد القادر عبد المهي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت-2014)، ص 35.
- (23) ابراهيم خليل العلاف، القومية بديلا للخلافة (تغير مفهوم الامة في تركيا) في (تركيا صراع الهوية)، تحرير لقاء مكى، الجزيرة للنشر (قطر-2006) ص 5.
- (24) نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، الاتجاهات الاصلاحية في الدولة العثمانية 1623-1789، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل-2006) ص 32.
- (25) اسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان (الرياض-1998) ص 94-96.
- (26) محسن حمزة حسن العبيدي، الازمة البلقانية 1875 - 1878 (دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الاوربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل-2000) ص 25-26،
- وليد العريض، (تاريخ الامتيازات الاجنبية في الدولة العثمانية واثارها) مجلة دراسات (الجامعة الاردنية) المجلد 24، العدد 1، السنة 1997، ص 145.
- (27) ياغي، المصدر السابق، ص 94-95.
- (28) عباس عبد الوهاب ال صالح، السلطان العثماني سليم الثالث وتجربته الاصلاحية 1789-1807، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل-2002) ص 17.
- (29) خليل اينالجي، الدولة والرعيا، ترجمة عبد اللطيف الحارس، مجلة الاجتهاد، العددان 45-46. (بيروت-2000) ص 99
- (30) عمار كاظم البزاز، السياسة الداخلية في عهد السلطان محمود الثاني 1808-1839، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة البصرة-2006) ص 7.
- (31) خليل اينالجي، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار، ج 1، تر: محمد الارناؤوط، (عمان-2002)، ص 70.
- (32) حاجي خليفة/ هو مصطفى بن عبد الله ولد في استانبول عام 1608 درس الفقه والتفسير على يد كبار علماء عصره وهو من اشهر العلماء العثمانيين في تدرج المناصب له العديد من المؤلفات منها (جيهان نامه) و (تقوم التواريخ)، تحفة الكبار في اسفار البحار) توفي في استانبول عام 1657 للمزيد ينظر:
- موردتقان، دائرة المعارف الاسلامية، مادة حاجي خليفة، ج7، الترجمة العربية، ص 235.
- (33) هزارفن، هو عثماني الاصل انهى دراسته في استانبول وعمل في الادارة العثمانية كموظف مالي كرس حياته للتأليف والمطالعة حتى وفاته ومن ابرز مؤلفاته تلخيص البيان في قوانين ال عثمان) للمزيد ينظر
- VL Mengw. *The Encyclopedia of Islam art Husayn Hexar Feein* (London-19 p.623)
- (34) البزاز، المصدر السابق، ص 11.
- (35) العلاف، المصدر السابق، ص 5.
- (36) احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني (بيروت-1993) ص 159.
- 37(Osman Ozkal, *Celenek VE Modernitc Arasmda Ulem Bir Hurf Yoymari* (Istanbul-2008). S.130-132
- (38) خالد زيادة، اكتشاف التقدم الاوربي (دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت-1981)، ص 34.
- (39) برنارد لويس، ظهور تركيا الحديثة، ط1، ترجمة قاسم عبده قاسم وسامية محمد، المركز القومي للترجمة (القاهرة-2016) ص 64.
- (40) خالد زيادة، المسلمون والحداثة الاوربية، ط1، دار رؤية للنشر والتوزيع (القاهرة-2010) ص 56-57.
- (41) قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية (قراءة جديدة لعوامل الانحطاط)، ط2، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت-2003) ص 44.
- (42) مبدر محمد احمد، الدولة العثمانية في عهد السلطان احمد الثالث 1703-1730، ط1، دار الحامد للنشر (عمان-2014) ص 78.
- (43) زيادة، المسلمون والحداثة الاوربية ص 73.
- (44) محمود رثيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تحقيق خالد زيادة (لبنان-1985) ص 10-11.
- (45) زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار المسيرة للتوزيع (عمان-2010) ص 300.
- 46(Ismail Hakki Uzon *Cursil, Osmanli Devletinin saraya Teskilat* (Ankara-1945) S.103
- (47) البزاز، المصدر السابق، ص 54.

الأتراك والحداثة الأوروبية (دراسة تاريخية للتوجهات الفكرية للأتراك تجاه أوروبا)

- (48) عماد عبد العزيز يوسف، الاوضاع الداخلية في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الاول 1839-1861، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل-2013) ص 10.
- (49) رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840-1909، (القاهرة-1970) ص 18.
- (50) محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الاصلاح في عهد السلطان محمود الثاني 1808-1839 (القاهرة-1978) ص 199.
- (51) محمد العريس، موسوعة التاريخ الاسلامي (العصر العثماني) (بيروت-2005) ص 255.
- (52) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1922 (بيروت-1984) ص 272.
- (53) احمد اق كوندوز وسعيد اوزتول، الدولة العثمانية المجهولة وقف للبحوث العثمانية (استانبول-2008) ص 393.
- (54) اوديل مورو، الدولة العثمانية في عصر الاصلاحات (رجال النظام الجديد العسكري وافكاره 1836-1914، ط1، تر: كارمن جابر، مراجعة سعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (بيروت-2019) ص 74.
- (55) المصدر نفسه ص 76-77.
- (56) *Stanford shew, History of Ottoman Empir and Modern Turkey 1280-1908, Vol1 (London-1976) p. 36.*
- (57) العلاف، المصدر السابق، ص 5.
- (58) يوسف، المصدر السابق، ص 92.
- (59) مصطفى، المصدر السابق، ص 198.
- (60) كوندوز واوزتول، المصدر السابق، ص 405.
- (61) عمر، المصدر السابق، ص 611.
- (62) العلاف، المصدر السابق، ص 6.
- (63) المصدر نفسه، ص 6.
- (64) خليل علي مراد، حراس الاتاتورية (موقف المؤسسة العسكرية من الاسلام والحراك الاسلامي في تركيا) ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع (عمان-2016) ص 13.
- (65) المصدر نفسه ص 13.
- (66) عقيل سعيد محفوظ، جدليات المجتمع والدولة في تركيا (المؤسسة العسكرية والسياسة العامة) ط1، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (ابو ظي-2008) ص 34.
- (67) ايريك زوركر، تاريخ تركيا الحديث، ط1، تر: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الاسلامي (ليبيا-2013) ص 230.
- (68) المصدر نفسه، ص 244.
- (69) مراد، المصدر نفسه، ص 15.
- (70) محمد ياس خضر الغري، الدور الامريكي في سياسة تركيا حيال الاتحاد الاوربي 1993-2010، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت-2010) ص 13.
- (71) طارق عبد الجليل، العسكر والدستور في تركيا، ط1، دار نخضة مصر للنشر (القاهرة-2012) ص 38.
- (72) محمد زاهد كول، الانقلاب العسكري في تركيا بين الفشل الداخلي، والتدخل الخارجي (صراع حضارات ام حروب صليبية) ط1، دار ابن حزم (بيروت-2017) ص 21-22.
- (73) هانتيس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد (التحدي المائل امام كل من اوربا والولايات المتحدة)، ط1، ترجمة فاضل جنكر، مكتبة العبيكان (الرياض-2001) ص 20-21.
- (74) مراد، المصدر السابق، ص 16.
- (75) سيار كوكب الجميل، العرب والاتراك: الانبعاث والتحديث من العثمينة الى العلمنة، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت-1997) ص 121.
- (76) خورشيد حسين ديلي، تركيا وقضايا السياسة الخارجية منشورات، اتحاد الكتاب العرب (سوريا-1999) ص 16.
- (77) مراد، المصدر السابق، ص 17.
- (78) المصدر نفسه، ص 18.
- (79) دلي، المصدر السابق، ص 15-16.
- (80) مراد، المصدر السابق، ص 20-21.

- (81) محمد نور الدين، قبعة وعمامة (مدخل الى الحركات الاسلامية في تركيا) ط1، دار النهار للنشر (بيروت-1997) ص 20.
- (82) وليد رضوان، تركيا بين العلمانية والاسلام في القرن العشرين، ط1، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع (بيروت-2006) ص 45.
- (83) كرامر، المصدر السابق، ص 30.
- (84) حامد محمد طه السويدي، تركيا بين اليسار العلماني والاسلام السياسي، ط1، دار المعز للطباعة والنشر (عمان-2016) ص 12.
- (85) زوركر، المصدر السابق، ص 299.
- (86) رواء جاسم لطيف السعدي، الاسلام السياسي حزب العدالة والتنمية ودوره في التغير السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الشرق الاوسط (عمان-2010) ص 63.
- (87) نوال عبد الجبار الطائي، تجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا، سلسلة شؤون اقليمية، العدد 13، جامعة الموصل (مركز الدراسات الاقليمية-التركية سابقا-2007) ص 2.
- (88) مصطفى محمد الطحان، تركيا التي عرفت، من السلطان الى نجم الدين أربكان 1842-2006، (د.م-2006)، ص 357.
- (89) السعدي، المصدر السابق، ص 65.
- (90) بشير نافع، العرب وتركيا الحديثة (قرن من المفاهيم المتغيرة) مجلة رؤية تركية (تركيا-د.ت) ص 60.
- (91) جلال درغي، الحركة الاسلامية التركية (معالم التجربة وحدود المنوال في العالم العربي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، مركز الجزيرة للدراسات (الدوحة-2010) ص 55.
- (92) موريال ميرال - فايسباخ وجمال واليم، السياسة الخارجية التركية تجاه القوى العظمى والبلاد العربية منذ عام 2002، ط2، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع (بيروت-2014) ص 11.
- (93) للمزيد عن الحزم القانونية الثمانية ينظر الملاحق - وثائق ارشيف رئاسة الوزراء التركية، مستشارية النظام العام والامن، الثورة الصامتة (حصار التغير والتحول الديمقراطي في تركيا 2002-2012)، ترجمة طارق عبد الجليل واحمد سامي العابدي، ط2، (انقرة-2012) ص 131.
- (94) درغي، المصدر السابق، ص 56.
- (95) عقيل سعيد محفوظ، السياسة الخارجية التركية (الاستمرارية والتغير) ط1، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات (بيروت -2012) ص 185.
- (96) فايسباخ وواكيم، المصدر السابق، ص 167.
- (97) المصدر نفسه، ص 168.
- (98) حامد محمد طه السويدي، بولندا جويده ودوره في السياسة التركية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع (عمان-2015)، ص 221.
- (99) فايسباخ وواكيم، المصدر السابق، ص 170.
- (100) المصدر نفسه، ص 172-173.